محاضرة في:

الصراع الدولي – الأزمة الدولية

د. أحمد وهبان

أستاذ العلوم السياسية

كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية– جامعة الإسكندرية

يعد الصراع ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد، بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة، حيث تعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى، حيث عرفتها علاقاته في مستوياتها المختلفة: فردية كانت أم جماعية، وأيضاً في أبعادها المتنوعة: نفسية أو ثقافية، سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو تاريخية، ... إلخ.

١- مفهوم الصراع : ماهيته وأبعاده

تعكس أدبيات الصراع ثراءً واضحاً فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تتعدد أيضاً بؤر الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. وفي إطار استعراض بعض التعريفات اللغوية التي تقدمها دوائر المعارف والقواميس اللغوية لمفهوم الصراع، فإن دائرة المعارف الأمريكية تعرف الصراع بأنه عادة ما يشير إلى "حالة من عدم الارتياح أو الضغط النفسي الناتج عن

التعارض أو عدم التوافق بين رغبتين أو حاجتين أو أكثر من رغبات الفرد أو حاجاته". أما دائرة معارف العلوم الاجتماعية فإن اهتمامها ينصرف إلى إبراز الطبيعة المعقدة لمفهوم الصراع، والتعريف بالمعاني والدلالات المختلفة للمفهوم في أبعاده المتنوعة. فمن المنظور النفسي، يشير مفهوم الصراع إلى "موقف يكون لدى الفرد فيه دافعُ للتورط أو الدخول في نشاطين أو أكثر، لهما طبيعة متضادة تماما"، وهنا يؤكد موراى على أهمية مفهوم الصراع في فهم الموضوعات المتعلقة بقدرة الفرد على التكيف الإنساني وعمليات الاختلال العقلي أيضاً. أما في بعده السياسي، فإن الصراع يشير إلى موقف تنافسي خاص، يكون طرفاه أو أطرافه، على دراية بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، والتي يكون كل منهما أو منهم، مضطراً فيها إلى تبنى أو اتخاذ موقف لا يتوافق مع المصالح المحتملة للطرف الثاني أو الأطراف الأخرى وبينما يهتم لويس كوزر بالتركيز على الصراع في بعده الاجتماعي، فإن لورا نادر تتجه إلى إيضاح البعد الأنثروبولوجي في العملية الصراعية. ومن ثم فإن الصراع في بعده الاجتماعي إنما يمثل "نضالاً حول قيم، أو مطالب، أو أوضاع معينة، أو قوة، أو حول موارد محدودة أو نادرة"، ويكون الهدف هنا متمثلاً "ليس فقط في كسب القيم المرغوبة، بل أيضاً في تحييد، أو إلحاق الضرر، أو إزالة المنافسين أو التخلص منهم". الصراع في مثل هذه المواقف، وكما يحدد كوزر، يمكن أن يحدث بين الأفراد، أو بين الجماعات، أو بين الأفراد والجماعات، أو بين الجماعات وبعضها البعض، أو داخل الجماعة أو الجماعات ذاتها. تفسير ذلك يرجعه كوزر إلى حقيقة أن الصراع في حد ذاته أحد السمات الأساسية لجوانب الحياة الاجتماعية. أما فيما يتعلق بالبعد الأنثروبولوجي للصراع، فإن الصراع ينشأ أو يحدث نتيجة للتنافس بين طرفين على الأقل. وهنا قد يكون هذا الطرف متمثلاً في فرد، أو أسرة، أو ذرية أو نسل بشرى معين، أو مجتمع كامل. إضافة إلى ذلك، قد يكون طرف الصراع

طبقة اجتماعية، أو أفكاراً، أو منظمة سياسية، أو قبيلة، أو ديناً . وهنا فإن الصراع يرتبط بالرغبات أو الأهداف غير المتوافقة، والتي تتميز بقدر من الاستمرارية والديمومة يجعلها تتميز عن المنازعات الناتجة عن الشطط، أو الغضب، أو التي تنشأ نتيجة لمسببات وقتية أو لحظية. في هذا الاتجاه، يذهب قاموس لونجمان إلى تعريف مفهوم الصراع بأنه "حالة من الاختلاف أو عدم الاتفاق بين جماعات، أو مبادئ، أو أفكار متعارضة، أو متناقضة". أما قاموس الكتاب العالمي، فإنه يعرف الصراع بأنه "معركة أو قتال Fight، أو بأنه نضال أو كفاح Struggle، خاصة إذا كان الصراع طويلاً أو ممتداً".

وبوجه عام، فإن مفهوم الصراع في الأدبيات السياسية المتخصصة ينظر إليه "باعتباره ظاهرة ديناميكية.." . فالمفهوم، من جانب، يقترح "موقفاً تنافسياً معيناً، يكون كل من المتفاعلين فيه عالماً بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، كما يكون كل منهم مضطراً أيضاً لاتخاذ موقف غير متوافق مع المصالح المدركة للطرف الآخر" . من هنا كان هناك اتجاه ينصرف إلى التركيز على البعد التنافسي في تعريف الصراع باعتبار أنه "أحد أشكال السلوك التنافسي بين الأفراد أو الجماعات"، وأنه "عادة ما يحدث عندما يتنافس فردان أو طرفان أو أكثر حول أهداف غير متوافقة، سواء كانت تلك الأهداف حقيقة أو متصورة، أو حول الموارد المحدودة". وعليه في الصراع، فإن "إحداث أو إلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالآخرين إنما يعد هدفاً محدداً للصراع نفسه".

أما متغير "الإرادة" عند أطراف الصراع، فإنه يمثل أساساً محورياً في تعريف الصراع لدى اتجاه آخر من كتاب الأدبيات السياسية. ومن ثم يتم النظر إلى مفهوم الصراع باعتبار أنه في جوهره "تنازع للإرادات"، ينتج عن اختلاف في دوافع أطرافه، وفي تصوراتهم، وأهدافهم وتطلعاتهم، ومواردهم وإمكاناتهم، مما يؤدى بهم إلى اتخاذ قرارات،

أو انتهاج سياسات تختلف فيما بينها أكثر من اتفاقها"، ومع ذلك، "يظل الصراع دون نقطة الحرب المسلحة"

إضافة إلى ذلك، فإن هناك رأياً ثالثاً يفضل الاهتمام ببنية الموقف الصراعي والمصالح المتضمنة فيه. في هذا الاتجاه، يذهب كل من لوبز وستول إلى أن مفهوم الصراع يمثل أو يعكس "موقفاً يكون لطرفين فيه أو أكثر أهداف أو قيم أو مصالح غير متوافقة بدرجة تجعل قرار أحد الأطراف بصدد هذا الموقف سيئاً للغاية"، وعلى ذلك يخلص الكاتبان إلى "أن الصراع بهذه الكيفية، يعد سمة مشتركة لكل النظم السياسية الداخلية والدولية".

أما الصراع في مفهوم كوزر فإنه يتبلور في ضوء القيم والأهداف التي تمثل الإطار المرجعي لأطراف الموقف الصراعي. وعلى ذلك يرى كوزر أن الصراع يتحدد في "النضال المرتبط بالقيم والمطالبة بتحقيق الوضعيات النادرة والمميزة، القوة والموارد، حيث تكون أهداف الفرقاء هي تحييد أو إيذاء أو القضاء على الخصوم" .

إضافة إلى ما سبق، فإن هناك رؤى أخرى تسعى إلى توجيه الاهتمام نحو الأبعاد النفسية المتعلقة بعلاقات القبول والرفض بين أطراف الموقف الصراعي. ومن هنا تتجه تلك الرؤى إلى تعريف الصراع فيها بأنه "ذلك العداء المتبادل بين الأفراد والجماعات أو الشعوب أو الدول فيما بينها على مختلف المستويات".

٢- مفهوم الصراع والمفاهيم الأخرى:

تبرز الحاجة ابتداءً إلى التمييز بين مفهوم الصراع وما عداه من المفاهيم الأخرى المرتبطة به أو المتداخلة معه حتى يمكن التوصل إلى الفهم الصحيح للموقف الصراعي، وبالتالي اختيار الأدوات والآليات المناسبة للتعامل معه من جانب آخر.

أ- الاختلاف، عدم الاتفاق، والمشكلة:

هناك بعض من المفاهيم الأخرى مثل الاختلافات، وعدم الاتفاق، والمشكلة، وعلى الرغم من ارتباطها بمفهوم الصراع، وتميزها عنه من حيث الذيوع والانتشار، إلا أنها تتسم بوجه عام بتواضع مضمونها الصراعي مقارنة بمفهوم الصراع **فالاختلافات *Differences*** تشير إلى طبيعة بشرية بين الناس حيث هم مختلفون بالميلاد، ومن هنا يُنظر إلى الاختلافات كأمر من أمور الحياة العادية، إن لم ينظر إليها باعتبارها من الأشياء التي تتسم بنكهة ومذاقٍ خاص للحياة يضفي عليها قدراً من الحيوية والفعالية لم يكن ليتحقق فيما لو تماثل الأفراد في كل شئي بينهم. ومن هنا فالاختلاف بذاته ليس سبباً للصراع، وإن مثَّل مصدراً له. أما فيما يتعلق بعدم الاتفاق ***Disagreement*** فإن حدوثه يرتبط بتعبير الأفراد عن تفضيلاتهم وأولوياتهم مقارنة بتلك الخاصة بالآخرين. وهنا تجب الإشارة إلى أن عدم الاتفاق في حد ذاته يمكن ألا يرتب أياً من أنواع الأذى أو الضرر أو أي نتائج محددة. وأخيراً، فإن المشكلة ***Problem*** تحدث عندما يسبب عدم الاتفاق أو الاختلاف بعض النتائج السلبية، على الأقل، لأحد الأطراف. وعلى الرغم من أن المشكلة يمكن تجنب حدوثها، إلا أنها عادة ما تكون مزعجة، ومكلفة، أو كليهما في آن واحد. وبوجه عام، فإن الأفراد عادة ما يواجهون العديد من المشكلات في حياتهم اليومية، كما أن وجود المشكلات يمثل في حد ذاته مصدرا محتملا للتصعيد وبالتالي حدوث أزمات أو اتخاذ قرارات قد يكون من نتيجتها تطور صورة أو أخرى من صور النزاع

ب- النزاع:Dispute

يعرف النزاع في دوائر المصادر اللغوية بأنه " إعطاء أسباب أو حقائق لتأييد أو معارضة شيء ما"، أو أنه "المناقشة" ، أو المجادلة، أو السجال حول شيء ما أو بخصوصه". كذلك يدور النزاع حول، أو على، أو مع شيء ما، خاصة عندما يكون النزاع غاضبا، وممتدا لفترات طويلة. كما يعرف النزاع أيضا بأنه "جدال أو شجار –يكون بصفة خاصة ذا طبيعة رسمية– بين جماعة أو منظمة، وبين جماعة أو منظمة أخرى". أما في الأدبيات المتخصصة، فإن النزاع يتم تعريفه بأنه "تعارض في الحقوق القانونية قد تتم تسويته بالتوصل إلى حلول قانونية وسياسية". كما أنه يفترض أيضا وجود طرفين أو أكثر يعترفان بوجود الاختلافات والمشكلات بينهما من جانب، وأن يبدى أحد هذه الأطراف على الأقل استعداده ورغبته في حل المشكلة. على ضوء ذلك، فإن النزاع يشير إذاً إلى موقف صراعى تواجه أطرافه أحد موقفين أحدهما قابل للتفاوض، بينما الآخر لا يحتمل التوفيق.

ج– الأزمة : CRISIS

تشير الأزمة إلى "نقطة تحول ناتجة عن حدث ما بشكل مرغوب أو غير مرغوب فيه، بين الحياة والموت، العنف أو اللاعنف، الحل أو الصراع الممتد، كما تعرف الأزمة أيضا "بأنها تحول فجائي عن السلوك المعتاد" بمعنى تداعى سلسلة من التفاعلات يترتب عليها نشوء موقف مفاجئ ينطوي على تهديد مباشر للقيم أو المصالح الجوهرية لأحد أطراف الصراع (أفراد، جماعات، دول)، مما يستلزم اتخاذ قرارات سريعة في وقت ضيق، وفي ظروف عدم التأكد، وذلك حتى لا تنفجر الأزمة في شكل صدام أو مواجهة (خاصة المواجهة العسكرية في حالة كون أطراف الأزمة دولا). وعادة ما تتم مواجهة الأزمة بإدارتها، أو التلاعب بعناصرها المكونة لها، وبأطرافها بهدف تعظيم الاستفادة من ورائها لصالح الأمن القومي على نحو ما سنعرض فيما يلي بالتفصيل.

د- مفهوما العنف والإرهاب Violence & Terrorism

يختلف مفهوما العنف والحرب، فالأخيرة وإن مثلت إحدى صور الأول، إلا أنه –العنف– مفهوم لـه شموله وخصوصيته عن مفهوم الحرب. فمن جانب، يعد إحداث الضرر، أو إلحاق الأذى، أو استغلال الموارد، كلها تعد أهدافا أساسية للطرف المعنى من أجل تحقيق أهدافه، كما أن مفهوم العنف هنا لا يقتصر على الجانب العضوي فقط، حيث قد يمتد إلى المجالات العاطفية والنفسية. ومن جانب آخر، فإن العنف باعتباره متميزا عن الحدة أو الكثافة التي تميز الصراع فإنه يشير إلى اختيار وسائل تنفيذ الصراع أكثر من إشاراته إلى درجة التورط من قبل المشاركين.

إضافة إلى ذلك، فإن العنف من حيث موضوعه أو أشكاله وصوره يتضمن – إلى جانب الحرب– أنشطة وأعمالا أخرى مثل الاغتيالات السرقة، الإكراه، الشغب، والتظاهر غير السلمى أو الصاخب، التجاوزات في بعض أعمال البوليس وممارسته، الأعمال الانتقامية والتدخلات القسرية في شئون الآخرين. أما من حيث أطرافه، فإنها قد تكون أفرادا أو جماعات أو دولاً. كما أن مجاله أو نطاقه يتسم بالشمول والاتساع فيتراوح من مجرد الأعمال الفردية إلى مستوى أعمال العنف على المستويين القومي والدولي من قبل الجماعات المنظمة، كما قد ترتبط هذه الأعمال بدوافع عقيديه أو أيديولوجية سياسية – كما في حالات حركات التحرر الوطني على سبيل المثال– أو بمصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة، كما تؤثر مصالح الأطراف المعنية على تقييمها ونظرتها لهذه الأعمال، وبالتالي تتنوع المواقف والسياسات إزاء أعمال وجماعات العنف بوجه عام على المستويات الفردية أو الجماعية للأفراد والجماعات والدول وكذلك للأطراف الأخرى كالمنظمات والهيئات الإقليمية أو الدولية وما شابهها.

أما مفهوم الإرهاب فإنه يمثل صورة خاصة من صور الصراع. وتتعين الإشارة بداية إلى أن الكثير من الدراسات ترد جذور الظاهرة الإرهابية إلى الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، وما أعقبها من حملات قمع لأنصار الملكية بل ولبعض زعماء الثورة والتنكيل بهم باعتبارهم "أعداء الثورة". وعلى سبيل المثال يعبر ميتيوستز Matusitz عما تقدم بقوله: " ظهرت كلمة الإرهاب مواكبة للثورة الفرنسية حيث ما عرف بعهد الإرهاب (١٧٩٣ – ١٧٩٤). وهي الفترة التي شهدت عمليات عنف واسعة النطاق من قبل الحكومة الثورية الفرنسية، و قتل خلالها ما بين ستة عشر وأربعين ألفاً من الفرنسيين في مدة وجيزة لا تجاوز كثيراً العام الواحد؛ على نحو حدا بالجمعية الوطنية الفرنسية في سبتمبر ١٧٩٣ إلى القول بأن " الإرهاب هو ما يسود اليوم". وقد ارتبط هذا النظام السلطوي القمعي باسم ماكسيمليان روبسبير Maximilien Robespierre؛ الزعيم البارز وقتذاك في الثورة الفرنسية والذي كان يرى بأن " الإرهاب Terror ليس إلا العدالة الناجزة الصارمة العنيفة"

وعادة ما تتم الأعمال الإرهابية بواسطة الأفراد أو الجماعات التي تتصرف أو ترتكب أعمالها كنوع من المعارضة لحكومة قائمة، أو نائبة عنها، أو عن سلطة حكومية. وتتمثل السمة المميزة للإرهاب في أن نية التأثير – أو التأثير المقصود– على جماعة محددة كهدف لها، أكثر من التأثير على ضحيتها مباشرة، والتي قد تكون، أولا تكون طرفا في النزاع المباشر. وعلى ذلك، ومقارنا بالصراع، فإن الإرهاب يمثل استراتيجية سياسية قائمة على القهر تستخدم التهديد بالعنف والألم كأداة رئيسية لها.

وإجمالاً يمكن إيجاز أبرز سمات الظاهرة الإرهابية حسبما تناولتها الدراسات المختلفة فيما يلي:

– يشير جل الدراسات إلى أن صلب الإرهاب هو استخدام العنف أو التهديد باستخدامه.

- يشير جل الدراسات إلى أن عنف الإرهاب يتجه في الأغلب الأعم نحو المدنيين الأبرياء، أو غير المقاتلين عموماً وممتلكاتهم.

- يشير العديد من الدراسات إلى أن العنف الإرهابي يستمد فعاليته، في المقام الأول، من الآثار النفسية التي يحدثها في نفوس الجماهير، بغض النظر عن حجم الأضرار المادية التي يتسبب فيها. إن صلب الإرهاب، إذاً، هو بث مشاعر الخوف والذعر في نفوس أعداد كبيرة من الناس تتجاوز بمراحل عدد المستهدفين المباشرين بالعمل الإرهابي أو ضحاياه.

- يؤكد بعض الدراسات على لا شرعية العنف الإرهابي، بمعنى مخالفته للقانون نظراً لصدوره من جهات لا تملك الحق الشرعي (الدستوري أو القانوني) في استخدام العنف، وهو الحق الذي تمنحه الدساتير حصرياً للحكومات؛ ارتباطاً بوظيفتها في تحقيق الأمن والاستقرار داخل المجتمع. وهذا الأمر يثير الجدل حول ما هو عنف شرعي وما هو غير شرعي لاسيما في حال نموذج إرهاب الدولة.

- يشير معظم الدراسات إلى أن القائم على العمل الإرهابي أو منفذه قد يكون دولة، أو تنظيماً أدنى (جماعة فرعية أو منظمة)، أو أفراداً.

- يشير معظم الدراسات إلى استهداف العمل الإرهابي أهدافاً سياسية بالمعنى الدقيق، بمعنى أنها أهداف تخص الشعب بأكمله أو قطاعات واسعة منه وليست أهدافاً شخصية، وذلك بغض النظر عن طابع هذه الأهداف أيديولوجياً كان، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً، أو غير ذلك.

- ثمة دراسات عديدة ركزت بصدد توصيف الإرهاب على الدعاية باعتبارها أحد مقومات العمل الإرهابي الرئيسية، ويتأسس ذلك على حقيقة أن الغرض الرئيسي من

الإرهاب هو جذب اهتمام الرأي العام إلى قضية معينة يسعى مدبرو العمل الإرهابي إلى إبرازها وتركيز الأضواء عليها.

- الإرهاب قد يكون محلياً وقد يكون دولياً، كما قد يكون فردياً أو من قبل منظمات، أو حتى دول (إرهاب الدولة).

- هناك صور مستحدثة للإرهاب مثل الإرهاب الإلكتروني، والإرهاب البيئي، والإرهاب الفكري.

(الإرهابي بالنسبة لشخص ما هو مناضل من أجل الحرية لشخص آخر)

هـ- مفهوم الحرب *WAR*

تعد الحرب أكثر صور العنف ذيوعا وشهرة في الصراعات الدولية. وعلى الرغم من الاختلاف حول التعريف الدقيق للمفهوم، أو ما يمكن تسميته التعريف، الجامع المانع للحرب. وفي هذا الصدد يعرف دوكاكى الحرب بأنها حالة قانونية تسمح وبصورة متساوية لعدوين أو أكثر بالاستمرار في صراعهما باستخدام القوة المسلحة. وفي تعريف مبسط آخر تعرف الحرب بأنها " أعمال عنف مسلح بين دولتين –أو أكثر – ذواتى سيادة"، أو أنها – أى الحرب– هي "أقصى صور الصراع عنفا وأكثرها وضوحا وسفورا، . كما أن الأطراف، وقد تورطت فعلا في الحرب والصدام، عادة ما تتجه إلى تجاهل اختلافاتها الأساسية، والتطورات التي قادتها إلى الحرب من جانب، كما أنها وقد تورطت فعلا في الحرب، تصبح أولويتها الأولى متمثلة في الإضرار بمصادر قوة الخصم، والسعي إلى تدميرها بما يحقق هدفها في الانتصار أو عدم الخسارة.

وببساطة فإن الحرب تعني: "عملية القتل الجماعي الغائي(له غايات واضحة) المنظم الذي تهدف الدولة من ورائه إلى إجبار الخصم على الامتثال لإرادتها" وهي أعلى أدوات السياسة الخارجية تكلفة في الأرواح والأموال والموارد.

وهكذا يتضح أن مفهوم الصراع، وبصفة خاصة في المجال الدولي، يعد أكثر شمولا عن مفهوم الحرب في نطاقه، وأكثر تعقيدا في طبيعته وأبعاده. فالحرب متى بدأت، تصبح خيارات أطرافها محدودة بالنصر أو الهزيمة، بينما في ظروف الصراع، وفي المراحل السابقة على حدوث الحرب، يكون هناك ثمة مجال أوسع لإدارة الصراع، والتكيف مع ضغوطه في اتجاه أو آخر، مع الاحتفاظ بالمقدرة النسبية على الاختيار بين البدائل المتاحة أمام كل طرف من أطرافه

سباق التسلح بين الدول كمغذي لظاهرة الصراع الدولي

يرى البعض أن المصدر الرئيسي للصراع في دائرته الدولية إنما يتمثل في السباق على التسلح. وعادة ما يشار إلى المتغيرات التالية لدعم وتقوية هذا الرأي :

الثورة التكنولوجية في ميدان الأسلحة، وما تؤدى إليه من حدوث فجوة في نظم التسلح بين الدول المتقدمة وما دونها، مما يدفع الأولى إلى المبادرة بشن الحرب قبل أن تفقد الدولة مزايا التطور التكنولوجي الذي تمتلكه في مواجهة الأطراف الأخرى.

إن التفوق التكنولوجي في نظم التسلح يدفع أيضا لاستعراض القوة كوسيلة للضغط بصدد التسوية الدبلوماسية مما يؤدى إلى شحن الصراعات بمزيد من التوتر والعنف بصرف النظر عن الأسلوب المقصود أو غير المقصود الذي قد يحدث.

إن إطار السرية المرتبط بسباق التسلح يخلق مناخاً من الشك والخوف وعدم التيقن لدى الأطراف المعنية، الأمر الذي لا يساعدها على حل المنازعات السياسية، بل قد يكون سبباً في الدفع نحو الصدام والصراع.

إن استمرار التطور التكنولوجي في مجالات ونظم التسلح يدفع بدوره مجموعات المصالح المرتبطة به نحو مواصلة ضغوطها على دوائر صنع القرار للإبقاء على كل أو بعض بؤر التوتر والصراعات ساخنة وملتهبة بما يضمن مصالح هذه الجماعات بأقصى درجة ممكنة.

الأزمة الدولية

تتعين الإشارة بداية إلى أن مفهوم الصراع الدولي يحمل في بطنه مفهوم الأزمة الدولية International Crisis على اعتبار أن الأزمة . كما يقول Holsti . هي إحدى مراحل الصراع، فهي حالة مميزة من حالاته تشتمل على تصعيد مفاجئ يتضمن أحداثاً غير متوقعة تنجم عن الصراع القائم. إن الأزمة، إذاً، هي حالة ذروية السلبية من حالات الصراع، بمعنى أن الصراع قد يتفاقم ويصل إلى مرحلة الأزمة، كما أن الصراعات طويلة الأمد (الصراعات المتجذرة) عادة ما تشهد حدوث العديد من الأزمات عبر تاريخها قد تنجر بأطرافها إلى ساحة الحرب (مثال الصراع الهندي الباكستاني شهد ثلاث حروب رئيسية في أعوام ١٩٤٧، و١٩٦٥، و١٩٧١/١٩٧٢). كذلك فإن أساليب إدارة الأزمة هي تقريباً ذات أساليب إدارة الصراع من تفاوض، ومساومة، ووساطة، وتهديد باستخدام القوة، واستخدام للقوة....إلخ.

وقد لاحظ كل من بوينو دي ميسكيتا Bueno de Mesquita (1981)، و جيمس James (1988)، وسبانير ويوزلانر Spanier and Uslaner (1989)، وروورك Rourke (1990)؛ أن خيارات الحكومات تكون أكثر رشداً وتحقيقاً للتوحد المجتمعي بصددها في وقت الأزمات، حيث يدفع ضيق الوقت القائمين على اتخاذ القرار إلى تجاوز بعض المشاورات غير الرسمية التي تلجأ إليها تقليدياً في غير أوقات الأزمة، وهي إجراءات قد تتسبب أحياناً في إعاقة صانع القرار عن اتخاذ القرار الحاسم والأكثر رشداً.

وإجمالاً يرى تشارلز هيرمان أن الأزمة الدولية هي موقف خارجي يتسم بتوافر ثلاثة عناصر رئيسية مجتمعة:

(١) وجود تهديد للأهداف الخارجية الرئيسية للدولة (المصالح الحيوية) أو لصانع القرار.

(٢) محدودية المدى الزمني (الوقت) المتاح أمام متخذ القرار لاتخاذ قراره قبل حدوث تغير سلبي في الموقف.

(٣) مفاجأة صانع القرار بالموقف.

ويمكن تلخيص موقف الأزمة عموماً في عبارة وجيزة هي: "تهديد كبير ووقت قصير ومفاجأة".

وعليه فإن لموقف الأزمة الدولية خصوصية نوعية لدى صانع القرار. ويمكن إيجاز أبرز مقومات تلك الخصوصية فيما يلي:

(١) أن وضع الأزمة عادة ما يجبر متخذي القرار، تحت وطأة عامل محدودية الوقت، على تخطي الإجراءات البيروقراطية، والخطوات الروتينية لعملية اتخاذ القرار.

(٢) أن مواقف الأزمات عادة ما تؤدي إلى تكريس صورة الخصم كمعادٍ للقيم والمصالح القومية للدولة، وكذلك إلى إبراز صورته كعدواني لا يتورع عن اللجوء إلى القوة والعنف تحقيقاً لأهدافه.

(٣) عادة ما تدفع مواقف الأزمات صانعي القرار الخارجي إلى تعريف أولويات أهدافهم على نحو قاطع، وبصورة أكثر تحديداً؛ ارتباطاً بتعاظم حجم التهديدات التي يفرضها موقف الأزمة. وينعكس ذلك في صورة اختلاف أولويات الأهداف الخارجية خلال أوقات الأزمات عنها في الأحوال العادية، فقد تتقدم بعض الأهداف لتتبوأ مكان الصدارة خلال الأزمة، بينما تتراجع أخرى. وبطبيعة الحال فإن الاختلاف في ترتيب الأهداف خلال فترات الأزمات قد يتعداها ليرتب التزامات بعيدة المدى.

(٤) شيوع نغمة التهديد المتبادل بين أطراف الصراع على نحو يصعب كثيراً من مهمة المفاوضين؛ الذين تبعاً لذلك سيكونون مطالبين ببذل جهود أكبر من أجل تلطيف الأجواء، وتخفيف حدة التوتر، وإقناع بعضهم البعض بقبول فكرة المفاوضات ذاتها.

(٥) قد تشكل مواقف الأزمات دافعاً إلى حل مشكلات أو اتخاذ مواقف أو إجراءات معينة ضرورية لم يكن قد سبق اتخاذها في الأوضاع العادية.

(٦) تؤثر مواقف الأزمة على نخبة صانعي القرار ذاتهم، حيث قد يترتب عليها ما يشبه عملية الفرز أو التقويم للأدوار التي يقوم بها كل واحد من أعضاء هذه النخبة، ولاسيما ما يسمى بالحلقة الضيقة لصناعة القرار (أي صناع القرار الفعليين أو الأكثر تأثيراً ونفوذاً)، وبالتالي فقد تسفر أزمة معينة عن دخول أعضاء جدد إلى هذه الحلقة، وخروج البعض الآخر منها.

(٧) عادة ما تحيط القوى الدولية تصرفاتها بحملات مكثفة من الإثارة الدعائية بغية تجميع الصف الداخلي، ومحاولة ترهيب الأطراف الأخرى في الأزمة. وبطبيعة الحال يكون من شأن أسلوب الإثارة الدعائية رفع مستويات التوتر بين الأطراف المتصارعة، كما قد تؤدي المبالغة في الإثارة الدعائية إلى دفع بعض الأطراف إلى اتخاذ قرارات انفعالية.

(٨) قد تسفر الأزمات عن إقامة إدارات أو هياكل تنظيمية جديدة (في إطار المؤسسات القائمة على صنع واتخاذ القرار الخارجي) للتعامل مع بعض المواقف أو المشكلات ذات الخصوصية، والقابلة للتكرار.

(أزمات دولية: أزمة السويس ١٩٥٦-أزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢ _ أزمة الغزو التركي لقبرص عام ١٩٧٤-أزمات حرب البوسنة والهرسك ١٩٩٢: ١٩٩٦-أزمة احتلال العراق للكويت ١٩٩٠- أزمة كارجيل بين الهند وباكستان ١٩٩٩ - أزمة حرب الخليج الثالثة أو الحرب الأمريكية الثانية على العراق عام ٢٠٠٣).

مراجع المحاضرة:

- أحمد محمد وهبان، اتجاهات تحليل ظاهرة الإرهاب: التطور التاريخي والمفاهيمي(القاهرة، مؤسسة الأهرام، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٩٩ – يناير ٢٠١٥).
- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية – دراسة في الأصول والنظريات(القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٩).
- منير محمود بدوى، مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع (أسيوط، مجلة الدراسات المستقبلية–جامعة أسيوط، العدد الثالث،١٩٩٧).

****